٦٩٥

مساجد فى السيرة النبوية

أ. د. سعاد ماهر

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

الإخراج الفنى

ألبير جورجى

مساجد فى السيرة النبوية

مقدمة

لعل خير ما نستهل به السيرة العطرة ، سيرة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث عن أماكن ذكر فيها اسم الله كثيراً سجوداً وقياماً وتعبداً وخشوعاً ، جاء اسمها فى سياق السيرة النبوية دون أن تأخذ ما تستحقه من العناية أو الوصف وتحديد المكان ، تلك هى قصة المساجد الأولى فى الإسلام التى كان لها فى قصة جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى نشر الدعوة الإسلامية أثر أكبر الأثر . ونود قبل أن نتناول هذه المساجد بالبحث والوصف والدراسة ، أن نذكر فى كلمات ، جانباً من السيرة العطرة ، وخاصة تلك التى تدور أحداثها حول تلك المساجد .

قال البخارى ، فى ترجمة (مبعث النبى صلى الله عليه وسلم)[1] : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم[2] بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (بن خزيمة) بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان »[3] .

---

(١) البخارى : المناقب جـ ٧ ص ١١٣ .

(٢) وقيل ان هاشم بن عبد مناف إنما سمى بهذا الاسم ، أنه كان عليه رعاية الحجيج ورفادتهم فى عرفات ، وحدث أن انتابت الحجاز مجاعة فخاف أن تقضى على وفود الحجيج ، فما كان من ابن عبد مناف إلا أن سافر إلى بلاد الشام ، واشترى كميات كبيرة من الكعك وأتى به إلى مكة وهشمة باللبن وقدمه إلى الحجيج وأنقذهم من المجاعة ، فعرف منه ذلك الوقت بهاشم ، كناية عن الجود والكرم (الأزرقى ، تاريخ مكة جـ ١ ص ٥٧) .

(٣) العاقولى : الرصف لما روى عن النبى من الفعل والوصف جـ ١ ص ١٣ .

ويحدثنا الأزرقى[1] عن السبب فى تسمية قصى وأبنائه وأتباعه بقريش فيقول : قال ابن اسحاق ، فلما كان ذلك العام ، فعلت (صوفة) ، كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك العرب ، وهو دين فى أنفسهم فى عهد جُرْهم وخزاعة وولائهم ، فآتاهم قصى بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة ، عند العقبة (بمنى) فقال : لنحن أولى بهذا منكم ، فقاتلوه فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، ثم انهزمت صوفة وغلب قصى على ماكان بأيديهم من ذلك[2] .

ويضيف الأزرقى فيقول : أما عن تسمية قصى ومن معه بقريش ، فيرجع إلى أن سدنة الكعبة قبله من جرهم وخزاعة ، كانوا يسكنون أعلى جبل أبى قبيس الذى يقع إلى الجنوب من مكة ، وذلك خوفاً من أن يدنسوا بيت الله بما يقترفوه من الآثام والقذارة . فلما تغلب قصى عليهم ، رفض سكنى جبل (أبى قبيس) وطلب من أبنائه وأتباعه أن (يتقرشوا) أى يتحولقوا حول الكعبة حتى تهابهم العرب فعرفوا منذ ذلك الوقت بقريش . ويضيف الأزرقى فيقول : وكان عليهم منذ أن تقرَّشوا حول الكعبة أن يحافظوا على طهارتهم ، فعرفوا كذلك (بالحُمس) أى المتطهرين ، إذ لم يكتفوا بعدم ارتكاب الفاحشة فحسب بل حافظوا على طهارة ملابسهم عند دخولهم الكعبة ، كما حرصوا على أن لا تطوف العرب حول الكعبة بملابس غير طاهرة ، ومن ثم فقد كانوا يعطون الطائفين من عِلِّيَّة القوم ملابس من عندهم طاهرة ، أما فقراء العرب فكانوا يطوفون حول الكعبة مساءً وهم عراة حتى لا يُنجسوها[3] .

ولد الرسول صلى الله عليه وسلم لأبويه عبدالله بن عبدالمطلب وأمه آمنة بنت وهب بمكة المكرمة فى الدار التى تدعى لمحمد بن يوسف أخى الحجاج وذلك كما يقول ابن عبدالبر[4] : قال الزبير ، يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ،

---

(١) الأزرقى : مكة جـ ١ ص ١١٩ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ١ ص ١٢٣ .

(٣) الأزرقى : مكة جـ ١ ص ١٢٢ .

(٤) العاقولى جـ ١ ص ١٩ .

قال : وقيل : بل يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل » .

وكان أبوه قد مات وأمه حامل به ، فكفله جده عبدالمطلب ، وتوفيت والدته بالأبواء بين مكة والمدينة وهو ابن ست سنوات وقيل سبع وقيل ثمان سنين (١) . وتوفى جده عبدالمطلب بعد ذلك بسنة وأحد عشر شهرا (٢) ، سنة تسع من أول عام الفيل (٣) .

وقد نزل الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة وهو فى الأربعين من عمره فمكث ثلاث عشرة سنة (٤) ، ثم أُمِر بالهجرة ، فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الثالثة والستين من عمره (٥) .

وقال ابن اسحاق : وكان ما أخفى النبى صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمر بإظهاره ، ثلاث سنين من مبعثه :

وقد صبر الرسول صلى الله عليه وسلم على أذى المشركين وتحمل ما أُنزل به وبأصحابه رضى الله عنهم ، حتى بعث بهم إلى النجاشى ، وأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة مرتين (٦) . وجاء عن جابر بن عبدالله الأنصارى رضى الله عنه قال : لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الحاج فى منازلهم فى أسواق عكاظ وذى مجاز ومجنه ومنازلهم بمنى : من يؤوينى وينصرنى حتى أُبَلغ رسالات ربى فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره .

---

(١) ابن سعد : الطبقات جـ ١ ص ١١٦ .

(٢) ابن عبد البر : الإستيعاب جـ ١ ص ٣٤ .

(٣) ابن هشام جـ ١ ص ١٢٦ .

(٤) البيهقى : دلائل النبوة جـ ١ ص ٣١٨ .

(٥) البخارى : المغازى جـ ٨ ص ٢٣ .

(٦) الحاكم : المستدرك جـ ٣ ص ٣٨٨ .

وقال ابن اسحاق المطلى : ثم أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وكان الإسلام قد فشا بمكة فى قريش وفى القبائل كلها » . ويضيف ابن اسحق فيقول عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما فرغت مما كان فى بيت المقدس ، أتى بالمعراج ، ولم أر شيئاً أحسن منه إلى الخ » .

وقد توالت الكوارث على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد (الإسراء والمعراج) وذلك بوفاة زوجه السيدة خديجة بنت خويلد وعمه (أبوطالب) فى عام واحد ، خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من أقاربه من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، فخرج إليهم وحده ، وهنا يقول ابن اسحاق عن ابن كعب القرظى قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم أخوة ثلاثة : عبديالیل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب ، فجلس اليهم الرسول ، فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال له أحدهم : هو يمرط [1] ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك ، وقال آخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ، وقال ثالث : والله لا أكلمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغى أن أكلمك [2] فقام الرسول صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من ثقيف ، ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى حائط [3] لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة وهم فيه . فلما إطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى إلى قريب يتجهمنى ؟ أم عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك غضب علىّ

---

(١) يمرطه : أى ينزعه ويرمى به .

(٢) ابن هشام جـ ١ ص ٤١٩ .

(٣) الروض الأنف ص ٢١١ (الحائط : البستان)

فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك ، أو يحل علىّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك »[1] .

فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ، كما ذكرنا آنفا ، وما لقى ، عطفا . عليه ، فدعوا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عدّاس فقالا له خذ قطفا من العنب ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، ففعل عدّاس ثم قال له : كُلْ ، فلما وضع الرسول صلى الله عليه وسلم فيه يده قال : باسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس فى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس ، وما دينك ؟ قال نصرانى من أهل نينوى[2] ، فقال الرسول من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال عدّاس : وما يدريك ما يونس بن متى ، فقال الرسول : ذلك أخى كان نبيا وأنا نبى ، فأكب عداس على الرسول يقبل رأسه ويديه وقدميه[3] ثم قال : وانصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعاً إلى مكة .

ثم قدم الرسول صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمنوا به . فكان الرسول يعرض نفسه فى مواسم الحج على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبى مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين الله ما بعثه به . فلما كان العام المقبل من موسم الحج وافى الموسم من الأنصار اثنى عشر رجلا لاقوه بالعقبة الأولى فبايعوا رسول الله . فلما كان الموسم التالى على البيعة الثانية ، حضر من الأوس والخزرج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وبايعوا الرسول البيعة الكبرى التى تمت بعدها هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة حيث كتب للإسلام أن ينتشر والدعوة أن تتم .

---

(١) ابن هشام جـ ١ ص ٤٢٠ الروض الأنف جـ ١ ص ٣٢٨ .

(٢) السهيلى : ص ٢٩٧

(٣) العاقولى جـ ١ ص ٢٢٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مساجد فى السيرة النبوية العطره

وخير ما نستهل به مساجد السيرة النبوية العطره ، هو موقع المعجن بالكعبة المشرفة . والمعجن هو المكان الذى كان ابراهيم واسماعيل يضعان فيه (مواد « أو مونه » بناء الكعبة) وهو عبارة عن جزء مقعر بعض الشئ يقع فى قرب نهاية الضلع الشرقى للكعبة من الجهة الشمالية .

ويعتبر مكان المعجن أول مكان سجد فيه محمد صلى الله عليه وسلم لله سبحانه وتعالى عندما فرضت عليه الصلاة ، وكان ذلك قبل هجرته بعام وقيل بعام ونصف . فقد ورد فى السيرة العطرة ، انه عندما فرضت الصلاة على رسول الله ، أتى جبريل عليه السلام بالرسول إلى الكعبة وفى مكان المعجن علمه كيف تؤدى الصلاة ومن ثم فقد أصبح أول مكان سجد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن فرضت عليه الصلاة ، ومن ثم فقد كان عليه السلام كثيراً ما يلجأ إليه ويصلى فيه ركعتان ، عندما يكون فى ضيق ويرجو أن يفرج الله كربه . وقد ورد فى السيرة العطرة ، أن الرسول قال للسيدة عائشة رضوان عليها ، إذا كنت يا عائشة فى ضيق وكنت صادقة النيه ، ولا تدرى لهذا الضيق مخرجا ، فاذهى إلى المعجن واسجدى لله ركعتين فلا تغادر إلا وقد فرج الله كربك .

ولعل من الأحداث التاريخية الهامة التى نستشهد بها فى هذا المجال . ماحدث للسلطان عبدالحميد الأول ، سلطان الدولة العثمانية سنة ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م .

من المعروف ان السلطان الظاهر بيبرس قد أحيا الخلافة العباسية بعد سقوطها فى العراق على يد التتار (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م) وذلك باحضار أحد أحفاد العباسيين الذين فروا من وجه التتار ونصَّبه خليفة فى مصر وذلك (٦٥٩ هـ/١٢٦١ م) وهكذا ظلت الخلافة العباسية باقية فى مصر حتى استيلاء الدولة العثمانية على مصر ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م ، وأخذهم آخر خلفاء العباسيين إلى القسطنطينيه . ولكن الخليفة أتى ببعض الأعمال لم يرض عنها السلطان سليم الأول فحبسه وجرده من لقب الخلافة ، ثم أخلى سبيله فى عهد ولده سليمان ، وفى عهد سليم الثانى سمح له بالعودة إلى مصر حيث توفى (٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م) وبذلك انتهت الخلافة الإسلامية تماماً .

ظل العالم الاسلامى قرابة قرنين ونصف من ٩٤٥ هـ حتى ١١٨٨ هـ/ ١٥٣٨ ـ ١٧٧٤ م وليس به خليفة حتى حدث الآتى . لقد برزت أهمية الخلافة الاسلامية على مسرح السياسة الدولية فى عهد السلطان عبد الحميد الأول ، عندما وقع على معاهدة الصلح مع روسيا (١١٨٨ هـ/ ١٧٧٤ م) وهى المعروفة باسم (كوشك كيناراجى) بينه وبين الامبراطورة كاترين الثانية والتى نص فيها بحق كاترين فى حماية المسيحيين الارثوذكس القاطنين فى أراضى الدولة العثمانية ، ومن ثم كان على عبد الحميد ان يكون له مثل هذا الحق بالنسبة للمسلمين ، لكن ذلك لن يتأتى له إلا إذا كان خليفة للمسلمين . فاشارت عليه بعض حاشيته من رجال الدين أن يذهب إلى مكه لعله يجد له مخرجا . وكانت حادثة صلاته بالمعجن ومصافحه سدته الكعبة بعد الصلاة بقولهم له حرما ياخليفة رسول الله .

فلما رجع السلطان عبد الحميد إلى القسطنطينيه طالب باعتباره خليفة رسول الله بحقه فى حماية المسلمين ، كما طالب بحقه فى منح تفويض لوالى القرم بالحكم وتعيين القضاه والمفتين . ومنذ ذلك الحين بدأ سلاطين الدولة العثمانية يدركون أهمية لقب الخلافة بالنسبة لسياستهم الخارجية والداخلية على حد سواء .

التعريف بالمسجد

المسجد بالكسر اسم لمكان السجود ، والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود والمِسجد بكسر الميم الخُمرة وهى الحصير الصغير[1] . وهناك أحاديث متواترة أخرجها الحفاظ فى كتب السيرة والفقه كالشيخين فى الصحيحين والبيهقى[2] ، تدل على أن النبى كان يصلى على الخُمرة ، وهى حصيرة صغيرة قدر ما يسجد عليه ، تنسج من السعف ، ففى الحديث لأم سلمه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لها : ناوليني الخُمرة . وجاء فى تاج العروس : « يقال صلى فلان على الخمره ، لأن خيوطها مستورة بسعفها . ويقول الشهرستانى[3] فى وصف الخمرة هى مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه فى سجوده من حصير ، أو نسيجة خوص ونحوه من النبات . ثم يضيف ، ولا تكون الخمرة إلا فى هذا المقدار ، وسميت خمرة لأن خيوطها مستورة بسعفها .

أما عن المسجد شرعاً ، فهو الموضع الذى يسجد فيه ، قال الزركشى[4] وكذا الزجاج ، كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ، لقوله صلى الله عليه وسلم : وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً وفى هذا يقول القاضى عياضُ[5] ، وهذا من خصائص هذه

---

(١) التصحيف للعسكرى .

(٢) السنين للبيهقى جـ٣ ص ٤٢١ .

(٣) الملل والنحل ص ٦ .

(٤) أعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٧ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٧ .

الأمة ، لأن من قبلنا ، كانوا لا يصلون إلا فى موضع يتيقنون طهارته ، ونحن خصصنا بجواز الصلاة فى جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته . وقال القرطبى : هذا ما خص الله به نبيه ، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلوات فى مواضع مخصوصة ، كالبيع (جمع بيعة) وهو معبد اليهود والنصارى . وكان عيسى عليه السلام يسبح فى الأرض ويصلى حيث أدركته الصلاة » ويعلق الزركشى على ذلك فيقول : فكأنه قال : جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً وجعلت لغيرى مسجداً ولم تجعل له طهوراً » وهذا هو الظاهر من حديث جابر وأبى هريرة فى عهد الطهور والمسجد فى حكم الواحد .

ويفسر الزركشى السبب فى اختيار كلمة مسجد لمكان الصلاة فيقول : لما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل : مسجد ولم يقولوا مركع ، ثم أن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه ، وكذلك الرُّبُط والزوايا والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك .

أما لفظ الجامع فوصف للمسجد الكبير ، فقد قال هشام بن عمار : لما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى أبى موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة ، وكتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب إلى أمراء أجناد الشام ، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده » .

يتضح لنا من هذا النص أن الجامع هو المسجد الذى تؤدى فيه الجماعة صلاة الجمعة ولذا عرف بالجامع . ولما تأسست الدولة الأموية أصبح المسجد الجامع يشكل ظاهرة سياسية على جانب كبير من الأهمية ، فقد كان على كل أمير أو عامل من عمال الأقاليم إقامة مسجد جامع يمثل مسجد الدولة الرسمى . وإذا عرفنا أن ذكر اسم الخليفة فى خطبة الجمعة فى المسجد الجامع يكوِّن شارة من شارات الخلافة ، وأن عدم ذكر اسمه يعنى خلعه ، تبين لنا الدور السياسى بالإضافة إلى الدور الدينى الذى كان وما يزال يلعبه المسجد الجامع .

ولعل أبرز فروع الفن الإسلامى التى تأثرت بالجانب الروحى ، هى العمارة ، التى عنى المسلمون الأوائل أن تكون مهمتها الأولى خدمة الدين ، ومن ثم فقد تطورت العمائر الدينية تطوراً سريعاً ساير ركب الحضارة الإسلامية الفتية ، فتعددت أشكالها وأساليبها تبعاً لتعدد وتغير وظائفها .

وقد بدأت العمارة الإسلامية ببناء المساجد والأربطة فالمدارس والمصليات والخوانق والأسبلة والتكايا . على أننا إذا أردنا أن نتتبع تطور العمارة الإسلامية وجدنا المسجد حجر الزاوية فيها .

ولقد كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته إلى المدينة هو بناء مسجد للمسلمين فى مربد التمر الذى بركت فيه ناقته . وكان بناؤه بدائياً بسيطاً ، وكانت مساحته ٧٠ × ٦٠ ذراعاً وجدرانه من اللَبِن ، سقف جزء منه بسعف النخيل وترك الجزء الآخر مكشوفاً وجعلت عمد المسجد من جذوع النخل .

وقد نهج المسلمون هذا المنهج فى بناء مسجد البصرة سنة ١٤ هـ ومسجد الكوفة سنة ١٧ هـ ، كما اتبع عمرو بن العاص هذه السنة فى بناء مسجده فى مدينة الفسطاط سنة ٢١ هـ . وكانت مساحته وقت إنشائه ٥٠ × ٣٠ ذراعاً ، جدرانه من اللَّبِن وأعمدته من جذوع النخل ، وتسوده البساطة .

وكانت مساجد البصرة والكوفة ومصر خالية من المحاريب المجوفة ومن المنابر والمآذن على غرار مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلما أراد عمرو بن العاص أن يتخذ له منبراً فى مسجده ، **كتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب يأمره بكسره قائلاً له** : « أما يكفيك أن تقوم قائماً والمسلمون جلوس تحت عقبيك » فكسره .

ولم يقتصر اتباع السنَّة فى ذلك الوقت على بناء المساجد فحسب بل تعداه إلى الدور والمنازل ، فقد حدث بعد وقوع الحريق بمدينة الكوفة أن أرسل سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب **وفداً يستأذنه فى البناء باللبن فقال عمر** : « افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أبيات (غرف) ولا تطاولوا فى البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة » .

وكان المسلمون فى العصر الإسلامى الأول لا يقتصرون على استعمال كلمة المسجد لأماكن العبادة بل كان يؤدى عدة وظائف أخرى لعل أهمها الناحية الثقافية . ففى أروقته وحول أعمدته تعددت حلقات الدروس والوعظ والإرشاد . كما كانت تعقد فيه الجلسات لفض المنازعات الدينية والمدنية . كذلك كان به بيت المال كما كان الحال فى المسجد الأموى وجامع عمرو وفيه كان جلوس متولى الحسبة .

من هذا يفهم أن المساجد فى العهد الأموى وأوائل العصر العباسى على أقل تقدير . كانت تمثل دور الحكومة فى مفهومنا الحديث إلى جانب وظيفتها الأساسية الدينية . وبديهى وقد أصبح المسجد يؤدى خدمات ووظائف متعددة تختلف باختلاف الشعوب والبيئات . أن تتعدد الأساليب المعمارية فى بناء المساجد وأن اتخذت جميعها مقومات العمارة الإسلامية وجوهرها . فقد كانت معظم المساجد حتى القرن الرابع الهجرى تحتوى على صحن مكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات أو من جهتين على أن يكون أكبر الايوانات هى رواق القبلة لأهميته . كما احتوى كل مسجد على محراب أو أكثر ومنبر ومئذنة وفى كثير من الأحيان على ميضأة .

أما تخطيط المسجد . فكان غالباً مربعاً فى العراق وإيران . ومستطيلاً فى مصر والشام وشمال أفريقيا . وتعليل ذلك سهل ميسور . فأماكن العبادة السابقة على الإسلام فى بلاد ما بين النهرين كانت ذات تخطيط مربع ونعنى بها (الآتش جاه) أى بيت النار . أما فى غرب العالم الإسلامى حيث كانت تسوده المسيحية فكانت كنائسهم معظمها ذات تخطيط مستطيل .

أما فى العصر العثمانى فقد اختلف تصميم المساجد اختلافاً كبيراً عن العمائر الدينية السابقة فلا هو تصميم مسجد ولا هو تصميم مدرسة . وهنا لا نستطيع القول أن الوظيفة هى الدافع فى تغيير تخطيط المساجد العثمانية بل هو دافع سياسى أرادت به الدولة العثمانية صبغ الولايات التابعة لها بتبعية فنية لتأكيد التبعية السياسية .

فقد اتخذ العثمانيون من طراز المصليات السلجوقية فى القرن الخامس الهجرى

أساساً لعمائرهم الهامة[٦] . وكان قوام التخطيط العثمانى هو القبة الكبيرة المبنية من الحجر عادة وتحيط بها من جميع الجهات فيما عدا جهة القبلة ايوانات محمولة على أكتاف تعلوها قباب ضحلة . ومن أحسن الأمثلة لذلك مسجد سنان باشا ومسجد محمد على بالقلعة الذى يعتبر نسخة من مسجد السلطان أحمد باسطنبول .

ومن العمائر الدينية الأخرى فى العصر العثمانى غير المساجد التكايا التى حلت محل الخانقاوات فى العصر العثمانى ، إذ أنها تؤدى نفس الوظيفة أى أنها خاصة بإقامة المنقطعين للعبادة ، ولكنها تطورت بعد ذلك وأصبحت خاصة بإقامة العاطلين من العثمانيين الوافدين على البلاد ، ومن هنا قيل عنها إنها مأوى تنابل السلطان ، أى الكسالى الذين لا عمل لهم .

أما من حيث التخطيط فهى مجموعة من الطرز والأساليب المعمارية ، فهى أساساً تشبه تخطيط المنزل الإسلامى ذى الصحن المتسع وتحيط به مجموعة من الايوانات والقاعات المتسعة ومسجد . وبالأدوار العليا توجد غرف للمبيت ثم يلحق بالتكية ودورات مياه ومنزل لشيخ التكية .

---

(١) نجد وصفاً مفصلاً لمصلى بارسان بالقرب من أصفهان للمقدسى فى كتاب « أحسن التقاسيم » .

موقف الرسول أو مسجد الكوع

ومن الأماكن التى يستحب فيها الدعاء فى الطائف موقف (مكان) بجبل أبى زبيدة فى طريق الذاهب إلى (وج) من جبل يقال له قرين[1] . وأثر الموقف ظاهر فى صخرة بركن المسجد المشهور بمسجد الموقف أو كما يطلق عليه الآن أهل قرية الخدام[2] ، مسجد الكوع . وقد جاء فى تحفة الطائف[3] « ومنها موقف عند وج يقال إنه وقف عنده صلى الله عليه وسلم وعنده شجرات سدر وشجرة ذكار وحماط . وإلى ناحية هذا الموقف بئر يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم شرب من مائها . وبجانب الموقف حظيرة يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بها » .

ووج التى عندها موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وادٍ بالطائف[4] ، وينقل العبدرى فى كتابه بهجة المهج عن أبى الصيف اليمنى فى وصفها فيقول : ثم يدخل قرية (وج) ، ويقال انه صلى الله عليه وسلم شرب من البئر التى وسط القرية . « ومن

---

(١) ابن العجمى : من أخبار الطائف ص ٨٢ .

(٢) هى اليوم من أحياء الطائف ، وكانت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قرية تعرف بأم خُبز ، ثم عرفت بعد ذلك باسم قرية الخدام لكن خدام ضريح سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، وهى فى جبل وتحتها مزارع وبساتين وآبار (الزركلى) .

(٣) تحفة اللطائف فى فضائل ابن عباس ووج والطائف تأليف محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد ابن فهد الهاشمى المكى . مخطوطة رقم (١٥) فى مكتبة الحرم المكى ، ونسخة أخرى بدار الكتب بالقاهرة رقم (٨١٠٣) .

(٤) القاموس جـ ١ ص ٢١٨ .

نواحى وج الهامة (الخَبْزة)[1] ، وهذا الوادى ونواحيه جميعها محرم كحرم مكة لا ينفر صيده ولا يعضد شجره » .

ومسجد الموقف أو الكوع ما يزال موجوداً حتى الآن بوادى وج وقد زرته حديثاً فى سنة ١٣٩٨ هـ ، وإن كان بناؤه يرجع إلى عهد حديث لعله يرجع إلى القرن الماضى ، ولكنه أقيم فى نفس الموقف الذى أشارت إليه المراجع السابقة .

وهو عبارة عن زاوية صغيرة تبلغ مساحتها ثمانية أمتار طولاً وسبعة عرضاً وتتقدمها ساحة مكشوفة تبلغ مساحتها سبعة أمتار طولاً وأربعة عرضاً . وتتكون الزاوية من قسمين متساويين يبلغ مساحة كل منهما سبعة أمتار طولاً فى أربعة أمتار عرضاً يفصل بينهما جدار مبنى يتوسطه باب معقود تبلغ سعته متراً وارتفاعه متران يكتنفه نافذتان صغيرتان معقودتان الشرقية منهما سدت حديثاً .

والجزء الجنوبى من الزاوية يحتوى على مدخل الزاوية ، الذى تقع فيه النافذة هو والباب المعقود والجدار الفاصل بين القسمين السابق الإشارة إليه وكذا محراب الزاوية على محور واحد . ويحتوى الجدار الجنوبى للمسجد من الخارج على حنيةٍ عميقة بعض الشئ تقع إلى الشرق من المدخل الرئيسى للمسجد . وفى اعتقادى أنها محراب خارجى يمكن استعماله إذا ما ضاق المسجد بالمصلين وصلوا فى الساحة التى تتقدمه .

وإلى جانب المحراب الخارجى من الجهة الشرقية توجد حنية مربعة الشكل ويحيط بالساحة التى تتقدم المسجد سور صغير يبلغ ارتفاعه متراً مكون من أربعة مداميك من الحجر الجيرى المأخوذ من الجبال المجاورة . ويحتوى السور على فتحتين أحدهما فى الضلع الجنوبى منه والثانى فى الضلع الغربى ، يصعد إليهما بمجموعة من الدرجات حيث إن المسجد على سطح جبل قريب من أسفله .

أما القسم الثانى الذى يقع إلى الشمال من الجزء الأول فيوجد فى وسط ضلعه

---

(١) العبدرى : بهجة المج فى بعض فضائل الطائف ووج ، عن مخطوطه (زيارة الطائف) لمحمد بن إسماعيل بن على بن أبى الصيف اليمنى (وهى مفقودة) .